

أصاب ماركس حينما انشأ يقول " اذا كانت الظروف هي التي تخلق الانسان، علينا ان نخلق ظروفًا إنسانية"، مما يجعلنا كثوريين عقلانيين يساريين نتبنى موقفاً منصفاً وتحريراً للمرأة نظرياً وعملياً، بل ومن الصعب ان يكون المرء ثورياً في الميدان السياسي على سبيل المثال بينما هو استغلالي على صعيد طبقي، ورجعي على صعيد اجتماعي حيال المرأة ومتخلف على صعيد الذوق الفني.. الخ..

فهذا إنما يدل على عدم إتساق في شخصيته بل انه يجمع عدة شخصيات في آن.. بينما الاتساق والتجانس في الشخصية الثورية يوحدان نسغ الثوري ووعيه وسلوكه، وعليه يتوجب ان نتحرر من "إنبش قشرة الثوري في موضوع المرأة تكتشفه رجعيًا عفناً" كما كتب لينين.

بل ليس مبالغة القول بان مقياس تطور الشعوب يقدر بمدى تحرر المرأة ومشاركتها في الحياة العامة، ناهيكم ان الثورات المعاصرة لا تنتصر الا بقدر مشاركة النساء فيها، وهذا لمسناه لمس اليد في السنوات الاولى للجيشان الانتفاضي حينما انخرطت النساء الفلسطينيات على نطاق واسع في التظاهرات والمصادمات والمناشطات العديدة جنباً الى جنب مع الرجل، وهذا كان ملحوظاً بصور أجلي وأوسع في الثورة الفيتنامية، بل ما كان ممكناً انتصار شعب فيتنام الصغير على الاستعمار الفرنسي ومن بعده الاستعمار الأمريكي لولا تحشيد كل طاقاته من رجال ونساء في شتى الميادين.

وربما اعداد من الناس لا يعجبهم ما أنجزته المرأة من تقدم، بل وقد يتذرعون بطواهر الانفلات الجنسي في العالم الرأسمالي، ككلمة حق يراد بها باطل، لإعادة عجلة الزمان للوراء، وحجز المرأة في البيت كما كينة "تفريخ للاطفال" وتربية النشيء الجديد والتعبد في الكنسية، كما خطب هتلر، غير ان هذا شيء مستحيل، اذ حتى لو حصلت ردة سياسية لا يمكن إعادة عجلة التاريخ للوراء، فالمرأة غدت متعلمة ومتفقة ومنتجة وجزءاً صميمياً وبنويها في المجتمع المعاصر، ولن تستطيع اي قوة قهرها ومعاملتها كما الإماء والجواري او كما لو كانت عورة، بل على العكس ان الرسم البياني يشير الى ترايد نسبتها في الجامعة والعملية الاقتصادية والسياسية والفنية.. ليس في العالم التكنولوجي المتطور فقط، بل وفي العالم المتخلف النامي ايضاً، وهذا نراه حتى في واقعنا الفلسطيني، ففي الاراضي المحتلة تشكل المرأة ١٢٪ من قوة العمل بالأجرة، ناهيك عن مساهمتها في الزراعة الفلاحية بدون اجرة، وعدد صفوف الثانوية يتزايد، والأمر